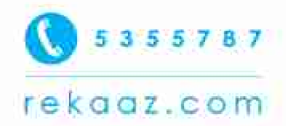
خلاص .. بدّلتها

قصة واقعية بقلم الكاتبة / سهام خالد العامر





خلاص .. بدّلتها

قصة واقعيه
أحداث القصة ديسمبر ٢٠٠٢م

يهفو اللسان وتزل الجوارح	وقد نمسي ونصبح آثمينا
نطيع الرحمن حينا	وحينا لإبليس طائعينا
فاعذروا أخ لكم	يلتمس الغفران من رب العالمينا
فهذه أيام رفع سجل الأعمال	قد هلت واستهل علينا شهر التائبينا
فسامحوني إن أخطأت يوما	واصفحوا الصفح الجميلا

التقيت بها في لقاء تنويري للجامعة التي سأدرس فيها بالخارج، تبادلت معها أرقام الهواتف وسعدت من خلال حواري معها، أنها ستكون معي بنفس الكلية والتخصص.

رجعت البيت وأنا مرتاحة النفس مطمئنة الخاطر، لأني لن أشعر بالوحدة بدراستي في الخارج، ستكون معي زميلة بنفس عمري ستشاطرني سنواتي الدراسية .

أخبرت والدتي بالحدث السعيد، وكان رأيها بأن ندعوها هي ووالدتها لكي نتعرف عليها عن قرب. وكان اللقاء جميلاً، أرى وجه والدتي مسرور لأن الفتاة تتحلى بالأخلاق والدين، ألتفتت والدة جنان وقالت لها :

"ريم ... هي أختكِ ليست صديقتكِ من الآن" .

ابتسمت والدتي علىَ هذه الجملة وشَعرت بالاطمئنان.

مرت الأيام بسرعة وها أنا أمام حقيبة السفر أنظر إليها ويلمع من بين الثياب، المصحف الشريف – كتيب الأذكار – سجادة الصلاة – البوصلة .
ضحكت كثيراً ، فهذه الأشياء وضعتها والدتي دون علمي ، وقبل السفر دعتني أمي لجلسة دار حوارها حول تقوى الله ومخافته، كما أوصتني مراراً أثناء حديثها بالصلاة وقراءة القرآن الكريم، وأن أضع بين عيني الثقة التي أودعتها لي. أخذتها بالأحضان وطبعت قبلة على خدها وقلت لها :
" والدتي موافقتكما أنتِ وأبي على السفر للخارج للدراسة ما هي إلا ثقة أوليتموني إياها، أعاهدكما بأن أكون عند حسن ظنكما".

ركبت الطائرة التي ستُقلني إلى محل دراستي، تصفحت ألبوم صوري التي أعدته لي أختي، كثيراً من الصور التي جمعتني مع عائلتي، وأجملها هي صورة عائلتي وخاصة التي أخذتها أمام الحرم المكي وهي أول عمرة لي. نظرت إليها وتذكرت هذه الرحلة الإيمانية من طواف وسعي ودعاء وأذان الحرم المكي، ما أجمله على السمع والقلب. نظرت إلى الساعة وإذ حان وقت صلاة المغرب فهببت مسرعة لتأدية صلاة المسافر.

سكنت مع جنان وكانت نعم الصديقة، تُذَكِرنُي بالصلاة كما كانت ترسل لي كل يوم جمعة رسالة إيمانية، تعد وجباتي وكان من كرم أخلاقها بأنها ترتب لي غرفتي. ومع الحياة الجديدة والغريبة على نفسي بدأ التغير شيء فشيئاً، بدأت أتباطأ على الصلاة ومرات أتركها كما هجرت قراءة وردي اليومي الذي كنت لا أتركه يوماً، استهواني الإطلاع على المواقع الهابطة .

وذات يوم دخلت عليّ جنان حاملة علبة سجائر فقالت لي :
" ريم ... ما هذه أتدخنين ؟ ".
وقفت أمامها واكفهر وجهي لها وقلت لها :مالك عليّ تحاسبينني ؟.
فقالت : ريم ... لا أصدق ما أرى هل أنتِ بهذه الشاكلة ؟!.
رفعت يدي وصفعتها على خدها .
ومن بعد هذه الحادثة لم أتحدث معها ، وأعلم في قرارة نفسي أنها لم تخطيء، كانت هي بالمقابل تقدم خدماتها لي وتُعِد الوجبات، حاولت عدة مرات أن تتحدث معي ولكني أعرض عنها.

وفي يوم كنت بالجامعة انتهيت من المحاضرة الدراسية في الدور السابع، دخلت المصعد مع مجموعة من الطلاب كنا سبعة، نزل المصعد قليلاً ثم توقف فجأة، ساد الضحك بين بعضهم، ثم ضغط أحدهم على زر النزول ثانية لم يشتغل المصعد، ضغط على جرس الإنذار وأيضاً إتضح أنه متوقف، ثم ضغط زر المروحة لم تدار.
صرخ قائلاً :
كل شيء داخل المصعد لا يعمل، أعدوا أنفسكم من الأموات !!.
بعد هذه الجملة دبّ الفزع في قلبي بل تملكني، ساد الهدوء قليلاً.

عزيزتي القارئة ، خفت وركنت عند زاوية المصعد أتوسدها أنظر إليهم، هذه ترتجف خوفاً، وهذه تدمع، وهذا يقبض بكفيه وهذا واضع يده على وجهه، زاد خوفي، كما زاد الحر والخنقة، صبّ عرقي وشعرت بالإعياء، مرّ شريط أعمالي وما صنعته منذ وصولي لهذه البلاد، وماذا قدمت ؟! فتحت حقيبتي أريد أن أكلم أبي الذي أهملت الاتصال به منذ شهر ، ومن هذا تذكرت العهد الذي قطعته مع والدتي قبل السفر، بكيت بحرارة ومرارة، نظرت بجانب الهاتف إنتبهت إلى علبة السجائر. دار رأسي تذكرت خلافي مع جنان. أقول لنفسي ما هو الشيء الصحيح الذي فعلته هنا ؟.
أرد على نفسي لا شيء، أدرت الأرقام للأسف لم يكن هناك تغطية إرسال، فكرت أن أقرأ بعض الآيات الكريمة من برنامج القرآن الكريم في هاتفي، لم يفتح حتى أعلنت البطارية توقفها.

دبّ شعورٌ داخلي بأنني سأودع الحياة بعد قليل، بدأت الأنفاس تتعب والوجوه بدى عليها الإعياء مر أكثر من نصف ساعة لا نسمع أحداً من الخارج يطمئننا، بعدها صرخت أحداهن وهي تقول: لا أريد أن أموت. حتى احتضنتها صديقتها تهدأ من روعها. صرت ساكنة واجمة، أخذت أتذكر كل عمل صنعته جميل في حياتي وأدعو الله سبحانه وتعالى به، زاد الاختناق سقط أحدهم على الأرض، أخرجت زجاجة عطر لكي تساعده على الإفاقة، وظهرت مع الزجاجة تذاكر لحفل " ديسكو "، بكيت ويدي ترتجف، وبعد ذلك أخذ أحدهم يضرب على باب المصعد ويصرخ بصوت عالي:

ساعدونا .... ساعدونا ... إننا نختنق سنموت إذا لم نخرج.
وضعت يداي على أذناي، أحاول أن لا أسمع شيء وعدت ثانية إلى الدعاء أدعو يا رب يا كريم ... يا رحيم ... يا رحيم ... يا رحيم. تعلم ما بنفسي ... ما قدمت وعملت ... يارب الأكوان ورب البشر... أنت الرحيم ... العفو ... الكريم ... الغفور ... ارحمني ... ارحمني ... ارحمني.

بكيت بحرقة حتى أحسست بقشعريرة هزت بدني، زاد الحر ووبدأت الوجوه تتصبب عرقاً وتعباً لم يعد تلويح كتابي على وجهي يزيد طراوة. ومازال الطالب يضرب على الباب بقوة ويصرخ ويستنجد، ولا نسمع أحداً من الخارج كأننا صرنا في عزلة عن العالم الخارجي. عدت مرة أخرى ولكن هذه المرة صرت أنطق الشهادتين تكراراً ومراراً.
فلمعت فكرة في رأسي أن أكتب على ورقة دفتري جملة:
" سامحوني لكل من عرفني ولا تنسوني بالدعاء ".

بدأت أنفاسي تتثاقل في صدري لا أستطيع التنفس رددت الشهادتين عدة مرات وصرت أقول " يا رحيم ... يا رحيم ... يا رحيم ".
وبعدها سبحان الله العظيم تحرك المصعد نزولاً، صرخت المجموعة بين بكاء وابتسامات ودموع، بكيت فرحاً وفرجا، وما زال المصعد ينزل وأعتبر هذه اللحظة من أجمل لحظات حياتي وأعتبرها أيضاً لحظة ولادتي من جديد. وأقول في نفسي:
يا رب بماذا أجزي عطاءك وكرمك ورحمتك ... أبكي ودموعي تسبح على عيني وخدي.
حتى فتح باب المصعد. جموع غفيرة كانت في استقبالنا تعبر عن الفرحة بين تصفيق وتصفير وصراخ. وأول خطوة خطوتها للخارج برجلي اليمنى بعدها أخذت شهيقاً قوياً ونظرت إلى السماء وعيناايّ مازالت تدمع، وفي قلبي جملة تزاحم الحدث والفرحة. حتى سمعت مناداة جنان لي، أخذتني بالأحضان وقبلتها وقلت لها:
سامحيني جنان ... سامحيني ...

وفجأة وقف أمامي المسعف وقدم لي زجاجة ماء فقال لي:
تفضلي. وخذي هذا الدواء سيتبدل حالكِ نحو الأفضل.
ابتسمت وقلت: شكراً لقد بدلت شَيئاً عظيماً أفضل بكثير مما عندك.
فقالت جنان: ريم ماذا تقصدين ؟
أمسكت يدها بقوة ، وألتفت إلى المصعد ومازالت دموعي تسبح على خدي ثم رفعت عيني إلى السماء وقلت في نفسي دون أن تسمعني:

خلاص يا ربي بدّلتها ... بّدلت سيئاتي ... حسنات.

أشكر صاحبة القصة التي قبلت بكتابتها ونشرها بعد تردد طويل في ذلك خوفاً من الرياء والسمعة.
وأقول لها في ميزان حسناتكِ ريم.

الكاتبة / سهام خالد العامر







سيئاتك
بدِّلها
حسنات

الوطن



ذي كاسل
The Castle
المصرف










نوبلز
RAWAI
سوق شرق
اكسان


بيت التمويل الكويتي
Kuwait Finance House

ركاز
rekaaz.com